أقول ومثل هذه المسائل يستحيل الوصول إلى رأى واحد فى كل المسائل الخلافية، ومن أراد أن يفعل ذلك فإنما يريد أن يلغى الألوان من الكون فلا يرى إلا لوناً واحداً، وذلك هو عمى الألوان الذى يحرك صاحبه أن يستمتع بالحياة على حقيقتها، وصاحب عمى الألوان يمنعه القانون من قيادة السيارة فكيف بقيادة الناس إلى طريق الله - عز وجل-.

أعود فاقول: إن الخلاف ليس مشكلة إنما المشكلة أن يغيب عنا أدب الخلاف، وتنشأ بيننا المعارك فى غير ميدان الحرب، فتستهلك الطاقات، وتبدد الجهود، ثم نمضى فى طريق التفرق ولا نعود.فهل إلى خروج من سبيل ؟ نعم إنه أدب الاختلاف فى الإسلام.

هذه الأسس الأخلاقية والمبادئ السامية إنما ترسخ أدب الاختلاف فى نفوس أبناء المجتمع المسلم لتستمر معانى الأخوة الإسلامية سائدة بين المسلمين **ومن هذه الآداب ما يأتى**(١):

١- **التجرد من الهوى:** إن حب الذات واتباع هوى النفس يعمى الإنسان ويصم أذانه عن سماع الحق أو رؤيته وقبوله، فليكن طلبنا للحق والصواب مجرداً من حظ النفس، ومن الرياء الشرك الخفى، ولنكن عبيداً لله لا عبيداً للذات ، فحيثما يوضع الإنسان فى أى مكان يعمل طالما أن غايته مرضاة الله عز وجل سواء كان إماماً أو مأموماً، فى المقدمة أو المؤخرة.

وفى البخارى قال ﷺ "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط، تعس

---

(١) يراجع فى ذلك الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم د/ يوسف القرضاوى باب الدعائم الأخلاقية لفقه الاختلاف صـ١٩٢-٢٥٢.

وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، اشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، أو كان فى الساقة كان فى الساقة"(١).

فلننصف أنفسنا بتجردها للحق وحده، وبحثها عن الصواب، والنزول عليه ما دمنا نبغى فى النهاية مرضاة الله عز وجل: {قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (٢).

٢- **التحرر من التعصب بجميع صوره وأشكاله:** إن صور التعصب كثيرة فهناك من يتعصب لشخص أو إمام أو مذهب وهناك من يتعصب لطائفة أو هيئة اجتماعية وهناك من يتعصب لإقليم أو مدينة أو مدرسة أو ثقافة، فعند الحوار والخلاف إذا بقى هذا التعصب فى النفوس قائماً فلن نصل إلا إلى التفرق المذموم المنهى عنه والأصل فى الحوار والخلاف التحرر من كل شئ ومع هذا يدور الإنسان مع الدليل الصحيح حيثما دار وإن كان على خلاف مذهبه أو مدرسته فليكن هدفنا طاعة الله ورسوله بالأدلة الصحيحة من القرآن والسنة قال تعالى: {قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم}(٣).

ومن الكلمات المأثورة عن الأئمة القدماء، ما قاله الإمام الشافعى -رحمه الله-: "والله لا أبالى أن يظهر الحق على لسانى أو على لسان خصمى"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٢٧٣٠).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٦٦).

(٣) سورة النور الآية (٥٤).

(٤) فتح القدير للشوكانى ٣/٩٠.

فهو يبحث عن الحق سواءً كان منه أم من خصمه بل إنه يتهم رأيه باحتمال أن يكون خطأ، وهذا من الإنصاف الذى لا مثيل له بين الناس الآن.

وقد رجح الإمام القاضى أبو بكر العربى مذهب الأحناف فى القول بوجوب الزكاة فى كل ما أخرجت الأرض، وضعف مذهبه الذى كان ينتمى إليه وهو للذهب المالكى وذلك لأنه أبصر الحق والدليل القوى فى مذهب الأحناف فى تلك المسألة، وذلك من الإنصاف الذى تحرر صاحبه من التعصب لمذهبه أو مذهب شيخه، والأمثلة كثيرة... فلننظر إلى القول ودليله لا إلى قائله، وأن نتحلى بالشجاعة فى نقد الذات، والاعتراف بالخطأ، وطلب النصح والتقويم، والثناء على المخالف إذا أحسن وأجاد.

٣- **إحسان الظن بالآخرين:** إن الظن الحسن تحرر الإنسان من الحكم على آراء الآخرين فلا يسمع لهم، ويضعهم دائماً فى موطن الاتهام. والظن الذى لم يقم على دليل أو برهان فهو ظن سن حذر منه الإسلام لأنه يضع الناس فى موضع التهم دون سند أو برهان يعتمد عليه، وقد يبنى على الظن أحكاماً جائرة تظلم الناس وتوغر الصدور، وتنشئ العداوة والبغضاء قال تعالى: {يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم}(١). فإذا كان للمخالف رأى له عدة أوجه كلها شر ووجه واحد يحتمل الخير فيه فيحمل هذا على ذلك إلى أن يقر المخالف بما يقصد برأيه هو ، والإقرار سيد الأدلة.

٤- **عدم تجريح الآخرين:** ومن أدب الخلاف بين العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية عدم تجريح بعضهم لبعض عند اختلافهم فى

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

رأى أو مسألة لأن المخطئ الذى أقيم دليل قوى على خطئه مجتهد لم يتعمد الخطأ، والنبى ﷺ يقول: "من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ له أجر"(١).

فيحمد له حسن اجتهاده، ويغفر له خطأه خاصة أنه غير مقصود أو متعمد.

وهذا هو نهج علماء الأمة من السلف فى القرون المثلى فى الإسلام، كانوا يختلفون فى المسألة الواحدة إلى عدة آراء ولا يجرح بعضهم بعضا، أو يسفه بعضهم بعضا، بل يلتمس له العذر يقول الإمام ابن القيم فى مدارج السالكين (ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه وإساءة الظن به، فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم فى طريق السلوك المحل الذى لا يجهل ، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم -صلوات الله وسلامه عليه- والكامل من عد خطؤه) (٢).

٥- **البعد عن الجدل والمراء:** إن الجدل والمراء يورث الضغينة والبغضاء، ولذلك حذر الإسلام من الجدل والمراء أيما تحذير خاصة إذا كان يقوم على غير علم أو هدى قال تعالى: {ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله} (٣).

والجدال بالباطل صفة من صفات أهل الكفر الذين يحاولون أن يخلطوا المفاهيم ويلبسوا الحق بالباطل قال تعالى: {ويجادل الذين

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٦٩١٩).

(٢) مدارج السالكين ١/١٩٦.

(٣) سورة الحج الآيتان (٨-٩).

كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا}(١).وفى سنن أبى داود عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا"(٢).

إن الشخص الذى تعود على المراء والجدال يرى نفسه دائماً على صواب والآخرين على باطل ، بل إنه يحاول أن يلزم الآخرين برأيه بأية وسيلة ، وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قال:" إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" (٣). والألد الخصم هو شديد الخصومة.

فالخلاف إذا دخل فيه الجدل والمراء أفسده، وحوله من خلاف إلى خصومة شخصية، ودفاع عن الذات، وتلك آفة الآفات.

٦- **الحوار بالتى هى أحسن:** الحوار أدب إسلامى قرآنى، شريطة أن يكون بأحسن الطرق وأفضلها وأمثلها، وأن يكون بأرق التعبيرات وألطفها قال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن بالمهتدين} (٤).

وهذا يتطلب التركيز على نقاط الاتفاق والالتقاء، حتى يتم الاستمالة فى مواطن الخلاف، وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة فى تعامله مع أهل الكتاب أو المشركين مثل قوله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى

---

(١) سورة الكهف الآية (٥٦).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى الأدب (٤٨٠٠).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٨).

(٤) سورة النحل الآية (١٢٥).

أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون} (١). وقوله تعالى: {قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم} (٢).

فالداعية يحاور بالخلق الأبيض لا بالسلاح الأبيض، فهو في ميدان علم ودين لا في ميدان قتال، وكما قيل: (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية)

فالحوار بالكلمة الهادئة والصوت المنخفض، والجدال بالحسنى واستخدام الموضوعية، يقرب القلوب، ويحل المشكلات، ويفض المنازعات.

فلا نرفض رأياً سلفاً، ولا نحجر على فكرة، ولا نسفه آراء الآخرين، وليكن الحوار بالتي هي أحسن، كما حكى القرآن الكريم: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن بالمهتدين} (٣).

*****

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٦).
(٢) سورة البقرة الآية (١٣٩).
(٣) سورة النحل الآية (١٢٥).

رابعا - المناظرة

من أقوى الوسائل القولية في بيان الحق وإظهاره ما عرف بالمناظرة، وقبل الدخول في الموضوع أتحدث عن الموضوع أولاً.

فهناك كما قال العلماء: (من يتحدث عن مسألة ما ولا يتحدث فيها، ومنهم من يتحدث فيها ولا يتحدث عنها) (١).

والحديث عن المناظرة يقتضى تعريف هذا المصطلح عند أهل الفن وهو ما سأبدأ به.

المناظرة في اللغة: (تطلق على عدة معان، منها المقابلة، ومنها المكافأة. وتطلق في الاصطلاح على تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق) (٢).

وهذا العلم العقلى هام جداً في العمل الدعوى، فلا تزال الدعوة تلقى من المعاندين لها والمشككين في صدقها، والمنكرين لحقائقها الكثير والكثير من القديم وحتى الحديث.

وإذا كان السابقون من علماء الصدر الأول (غير محتاجين إلى هذه النظم؛ لما وهبهم الله من سلامة الفطرة، وصفاء الذهن، وكانت

---

(١) انظر المدخل د/ على جمعة المقدمة ط أولى ١٩٩٦ المعهد العالمى للفكر الإسلامى.

(٢) رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة/ محمد محى الدين عبد الحميد صـ٦ ط السابعة ١٩٥٨ المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة.

أساليب حوارهم ومناظراتهم تجرى على وفق هذه القواعد، من غير أن تكون علماً مدوناً) (١).

فإن الدعاة اليوم ومع طول العهد وقصر القرائح في أشد الحاجة إلى معرفة قواعد المناظرة، وجوانب منها ليتمكنوا من أداء الرسالة، والقيام بالواجب مع المخالفين بقوة واقتدار.

ولذلك لا نعجب عندما نرى علماءنا يحكمون بأن دراسة هذا العلم من قبيل (الوجوب الكفائي؛ لأنه يتوقف عليه معرفة طرق الرد على ذوى البدع والأهواء، كما تتوقف عليه معرفة تمام الدليل العقلي التفصيلي على وجود الله -تعالى- وثبوت أكثر صفاته، وقد يتعين تعلُّم هذا العلم على إنسان؛ فيصبح حينئذ فرض عين عليه) (٢). ومن غير الدعاة يلزمهم هذا الحكم.

هذا هو الحديث عن المناظرة بمختصر الأقوال، وأوجز العبارات خلصت منه إلى أن المناظرة تهدف إلى:

١.تصحيح القول الإسلامي، وإبطال ضده.

٢.رد شبه المبطلين وقمع الضالين بإلزامهم أو إفحامهم.

٣.الرد على أهل البدع والأهواء.

٤.الاستفادة من المناظر في جانب الاعتقاد.

---

(١) السابق ٧،٨.

(٢) السابق صـ ٨.

ولو اردنا أن نتحدث في وسيلة المناظرة من ناحية استعمالها الدعوى، بعد أن علمنا أنها من المقررات القرانية حيث يقول الله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (١). فإن الجدل هو (مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة) (٢).

اقول إن الجدل والمناظرة والحوار والمناقشات وسائل استعملها الأنبياء لبيان دعوتهم ودحض حجج خصومهم، قال تعالى عن نوح-عليه السلام-: ﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (٣). لنضرب هنا بعض النماذج لهذه الوسيلة القولية من القران الكريم وعلماء الأمة الإسلامية قديما وحديثا وننظر ثمارها على المدعوين.

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).
(٢) لسان العرب مادة جدل ١١/٥-١٠.
(٣) سورة هود الآية (٣٢).

المناظرات نماذج وأمثلة

(١) جدال النمرود -عليه اللعنة- للخليل إبراهيم --عليه السلام-.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه ن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال انا أحى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (١).

لقد آلت المناظرة إلى دحض حجة النمرود، قال الإمام النسفى -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه ﴾ أى في معارضته ربوبية ربّه، والهاء في ربه ترجع إلى إبراهيم، أو إلى الذى حاج فهو ربهما ﴿أن اتاه الله الملك﴾ لأنّ أتاه الله يعنى أن إيتاء المُلْكِ أبطره وأدركه الكبر فحاجّ لذلك... أو حاج وقت أن أتاه الله الملك ﴿إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت﴾ كأنه قال له: من ربك؟ قال: ربى الذى يحيى ويميت ﴿قال﴾ النمرود ﴿انا احيى وأميت﴾ يريد أعْفِى عن القتل وأقتل، فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة، ولما لبّس اللعين فزاد إبراهيم -عليه السلام- ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر﴾ تحير ودهش ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى لا يوفقهم، وقالوا إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله -تعالى- صرفه عنه، وقيل: إنه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان ليعترف بالربوبية لغيره.

والآية تدل على إباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه، لأنه قال: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه) والحاجة تكون بين

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

اثنين، فدل على أن إبراهيم حاجه أيضاً، ولو لم يكن مباحاً لما باشر إبراهيم -عليه السلام- لكون الأنبياء -عليهم السلام- معصومين عن ارتكاب الحرام، ولأنا أمرنا بدعوة الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإذا دعوناهم إلى ذلك لابد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك، وهذا لا يكون إلا بعد المناظرة" (١).

في هذه المناظرة التي استعملها الخليل -عليه السلام- رأينا قوة الحجة النبوية التي أفضت إلى تزلزل ركن الكفر ﴿فبهت الذي كفر﴾ وهذا يؤكد بلا شك أن المناظرة التي يقوم بها الداعي لابد وأن تقوم على علم واسع، وإدراك وافر، حتى يصل الداعية إلى هدفه من إظهار الحق، وفي ذات الوقت يخرج من العتاب الإلهي الشديد الذي عاتب به أهل الكتاب، عندما جادلوا فيما لا علم لهم به قائلاً: (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (٢).

وإلا فالجدال بلا علم، ولا وثاقة من الداعي في حجته، ربما يقلب نصاب الأمور، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين) (٣).

(٢) مناظرة ابن عباس ﷺ للخوارج:

وهذه من أقدم المناظرات في تاريخ الإسلام، ومن أقوى وأنجح المناظرات كذلك، فإن أحد طرفيها هو من دعاه الرسول ﷺ قائلاً:

---

(١) تفسير النسفي ٢٠١/١ بتصرف يسير.

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣٥٧/١.

(اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل)(١). وهو صاحب رسول الله ﷺ وابن عمه، ذو علم غزير، وحكمة بالغة، وهيئة حسنة، وخلق عظيم.

وهذه المناظرة العملية هى التى أبانت الحق لألفين من الرجال كانوا قد ضلوا في فهم الدين، واستحلوا الحرمات بتأويلات فاسدة، وشبهات مضلة، ولا شك أن الداعية المسلم الصحابى الجليل ابن عباس كان قد تسلح بكل أدوات النجاح والإخلاص لله، وقوة الدليل، وغزارة العلم، وحسن الأدب (٢).

(٣) المناظرة بين عمر بن عبد العزيز ووفد الخوارج:

قال الهيثم بن عدى أخبرنى عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز مع عون ابن عبد الله بن مسعود إلى شوذب الخارجى وأصحابه، إذ خرجوا بالجزيرة، وكتب معنا كتاباً، فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه إليهم، فبعثوا معنا رجلاً من بنى شيبان ورجلاً فيه حبشية يقال له شوذب، فقدما معنا على عمر وهو بحاضرته فصعدنا إليه وكان فى غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم، فأخبرنا بمكان الخارجين، فقال عمر فتشوهما لا يكن معهما حديد، وادخلوهما.

فلما دخلا قالا: السلام عليكم، ثم جلسا، فقال لهما عمر: أخبرانى مالذى أخرجكم عن حكمى هذا؟ وما نقمتم؟ فتكلم لاسود

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/٦١٥.

(٢) انظر تفاصيل هذه المناظرة فى أعلام الموقعين لابن القيم ١/٢١٤-٢١٥، والدر المنثور ١/٤٠.

منهم، فقال: إنا والله مانقمنا عليك فى سيرتك وتحريك الحدل والإحسان إلى من وليت، ولكن بيننا وبينك أمر إن أعطيناه فنحن منك وأنت منّا، وإن منعتناه فلستا منّا ولسنا منك.

قال عمر: ما هو؟ قال: رأيناك خالفت أهل بيتك، وسيرتها مظالم، وسلكت غير طريقهم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وابرأ منهم، فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق.

فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إنى قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الاخرة فاخطأتم سبيلها وإنى سائلكما عن أمر، فابالله اصدقانى فيه مبلغ علمكما، قالا نعم.

قال أخبرانى عن أبى بكر وعمر، أليس من أسلافكما؟ ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة؟ قالا اللهم نعم، فقال فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله ﷺ: فارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء واخذ الاموال وسبى الذرارى؟ قالا نعم، قال فهل علمتم أن عمر قام بعد أبى بكر فردّ تلك السبايا إلى عشائرها؟ قالا نعم ،قال فهل برئ عمر من أبى بكر أو تبرؤون أنتم من أحد منهما، قالا :لا، قال فاخبرانى عن اهل النهروان أليسوا من صالح أسلافكما وممن تشهدون له بالنجاة؟ قالا: نعم.

قال فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم ، فلم يسفك دماً ولم يخيفوا أمنا، ولم يأخذوا مالاً، قالا نعم، قال فهل علمتهم أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن قديل استعرضوا يقتلونهم ولقو عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله ﷺ فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم قتلوا النساء والاطفال حتى جعلوا

يلقونهم فى قدور الاقط وهى تفور؟ قالا: قد كان ذلك، قال فهل تبرؤن أنتم من إحدى اثنين؟ قالا لا.

قال: أفرأيتم الدين أليس هو واحد أم الدين اثنين؟ قالا بل واحد، قال فهل يسعكم منه شيئ يعجزنى؟ قالا :لا، قال: فكيف يسـ كم أن توليتم أبا بكر وعمر، وتولى كل واحد منهما صاحبه، وتوليتم أهل الكوفة والبصرة، وتولى بعضهم بعضا، وقد اختلفوا فى أعظم الاشياء والدماء والفروج والأموال، ولا يسعنى إلا لعن أهل بيتى، والتبرء ومنهم؟ ورأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منهافإن كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون، وقد قال أنا ربكم الأعلى.

قال ما أذكر أنى لعنته قال ويحك، أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق، ولا يسعنى أن لا ألعن أهل بيتى والبراءة منهم، ويحكم إنكم قوم جهال، أردتم أمراً فاخطأتموه فأنتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله ﷺ بعثه الله اليهم وهم عبدة الأوثان، فدعاهم إلى أن يخلوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فمن قال ذلك حقن بذلك دمه، وأحرز ماله، ووجبت حرمته، وأمن به عند رسول الله ﷺ وكان أسوة المسلمين وكان حسابه على الله.

أفلستم تقولون من خلع الأوثان ورفض الأديان وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ تستحلون دمه وماله ويلعن عندكم، ومن ترك ذلك وأتاكم من اليهود والنصارى وأهل الأديان فتحرمون دمه وماله.

فقال الاسود ما سمعت كاليوم احداً أبين حجة ولا أقرب مأخذاً، أما انا فاشهد أنك على الحق، وأنى برئ ممن برئ منك، فقال

عمر لصاحبه، يا أخا بنى شيبان ما تقول أنت؟ قال ما أحسن ما قلت ووصفت، غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت، وأنظر ما حجتهم، قال أنت وذاك، فقام الحبشى مع عمر، وأمر له بالعطاء، فلم يلبث أن مات، ولحق الشيبانى بأصحابه فقتل معهم بعد وفاة عمر(١).

مناظرات في العصر الحديث

(٤) مناظرات الشيخ -رحمت الله الهندى (٢).

وللشيخ مناظرات عديدة لعل من أشهرها ما دونه في كتابه القيم (إظهار الحق) والتى عرفت بالمناظرة الكبرى، مقابل مناظرات أقل شهرة من تلك المناظرة الشهيرة.

وقصة المناظرة باختصار، أن أرسل الشيخ رحمت الله تسع رسائل إلى د/القسيس سفندر لترتيب المناظرة العلنية بينهما، بدأ ذلك بتاريخ ٢٣ آذار وانتهت في ٨ نيسان سنة ١٨٥٤م، وتم الإتفاق على أن تكون المناظرة في خمسة موضوعات هي: النسخ والتحريف، وألوهية المسيح والتثليث، وإعجاز القرآن، ونبوة محمد ﷺ وانعقد المجلس الأول العام للمناظرة في الإثنين ١١ رجب ١٢٧٠ في حي عبد المسيح ببلدة أكبر

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير

(٢) هو محمد رحمت الله بن خليل ويعرف بـ (خليل الرحمن) الكيرانوى العثمانى ولد بحى (در باركلان) في قرية كيرانة بمحافظة قطفر ناجار من توابع دلهى العاصمة الهندية في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ه ١٨١٨م وفى مكة حصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام، وأسس المدرسة الصولتية وبقى مديراً ومدرساً فيها إلى وفاته -رحمه الله- في ٢٣ رمضان ١٣٠٨هـ ١٨٩١م ودفن في مقبرة مكة). انظر/ مقدمة د/ محمد أحمد ملكاوى لكتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندى صـ١٥-٢١.

أباد، وتوافد المسلمون، والمسيحيون، والوثنيون، وعلى رأسهم أمراء المسلمين والهندوس، وحكام المسلمين، واعيان البلدة وكبارها، وحضر في اليوم الاول ٥٠٠ نفس ولما تناقلت الصحف نبأ المناظرة زاد الحضور إلى ١٠٠٠ نفس في اليوم الثاني.

وقد أسفرت المناظرة عن النتائج التالية:

١- تعرية سفندر وكتاباته:الأمر الذى دفع هذا القسيس أن يعلن تراجعه عن كتابات كتبها، واعترف بخطئه فى مواضع عديدة من كتبه.

٢- اعتراف القسيس اعترافاً علنياً بوقوع النسخ والتحريف فى كتب العهدين، القديم والجديد.

٣- إغلاق القسيس سفندر باب المناظرة فى المسائل الباقية، بعد تعريته وإفحامه فى مسألتى وقوع النسخ، والتحريف فى كتب العهدين.

ولقد ظهرت الغلبة للشيخ رحمت الله فى مسألتى النسخ، والتحريف، فلما رأى ذلك صاحب الميزان سد باب المناظرة.

وهذا ما قاله الشيخ فى مدخل كتابه إظهار الحق، وهذه المناظرة كانت سبباً فى تاليفه كتاب (إظهار الحق) وهو يحتوى على ما قيل فى المناظرة وزيادة)(١).

(١) انظر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى صـ ٣٤-٤٤ بتحقيق د/ محمد ملكاوى نشرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية سنة ١٩٩٢م.

(٥) المناظرة بين الإسلام والمسيحية فى السودان:

وقد تمت هذه المناظرة بدعوة من بعض فـ اوسة السودان ومبشريها النصارى فى الفترة من ١٤٠١/١/٢٣هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩ الموافق ١٩٨٠/١٢/١ إلى ١٩٨٠/١٢/٧م بالخرطوم.

وقد مثل جانب المسلمين د/ محمد جميل غازى، والأستاذ/إبراهيم خليل أحمد، واللواء المهندس/ أحمد عبد الوهاب. وفى الجانب النصرانى المبشر جيمس بخيت سليمان، والأستاذ/ تيخا رمضان.

وكانت نتيجة هذه المناظرة إحقاق الحق وإبطال الباطل، فآمن جميع المسيحيين المناظرين، ودخلوا فى دين الله عن إيمان وإذعان، وقال قائلهم -كلمة عمر- ﷺ والله لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان.

ثم استمروا فى طريقهم يؤدون دورهم فى الدعوة إلى الله، فبلغ الذين اسلموا بإسلامهم -فى وقت ما- خمسمائة (١).

ولا تدرى فما زالت الوفود تتوالى، وكانت من كلمة القس جيمس بخيت سليمان عن الجانب المسيحى: (إننا لا نملك أى رد غير إعلان الإسلام ديناً لنا، والتمسك بكل قيمه ومثله، لأنه الحق و' ور لخير الأمم فى الدنيا والآخرة) (٢).

---

(١) انظر مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ٦-٣٢ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ.

(٢) السابق ٤٨٢.

ولست في مقام إيراد المناظرات جميعها، بل الغرض سوق المثال لتوضيح المقال، وعودة إلى الحديث عن الموضوع بعد الحديث فيه، لبيان كيف يستفيد الدعاة من هذه الوسيلة وما هي آداب ذلك.

لكي يستفيد الدعاة من المناظرة مع خصومهم لابد وأن تكون تلك المناظرات مستوفية لآداب وشروط ذلك النجاح، حيث لا يمكن الاستفادة من عمل فاشل. قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد:(آداب المتناظرين: وينبغي للمتناظرين أن يلتزما الآداب الآتية:

١- أن يتحرزا من إطالة الكلام، ومن اختصاره.

٢- وأن يتجنبا غرابة الألفاظ وإجمالها.

٣- وأن يكون كلامهما ملائماً للموضوع.

٤- وألا يسخر أحدهما من صاحبه.

٥- وأن يقصد كل منهما ظهور الصواب، ولو على يد صاحبه.

٦- وألا يتعرض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه.

٧- وأن ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه.) (١).

ولعل هذه الآداب هي آداب تتعلق بفنية المناظرة، وطريق سيرها، لكن هناك آداب روحية ونفسانية، ذكرها العلماء كالخطيب

(١) رسالة الآداب صـ ١٧٦-١٧٧.

البغدادى وأبى حامد الغزالى. وألخص هنا ما ذكره البغدادى فى (الفقيه والمتفقه) تحت عنوان: (أدب الجدل) قال -رحمه الله-:

١. ينبغى للمجادل أن يقدم على جداله تقوى الله تعالى: لقوله تعالى:﴿ فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (١).

٢. ويخلص النية فى جداله بأن يبتغى به وجه الله تعالى لقوله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات"(٢).

٣. وليكن قصده فى نظره إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم.

٤. ويبنى أمره على النصيحة لدين الله والذى يجادله لأنه اجمع فى الدين مع أن النصيحة واجبة لجميع المسلمين.

٥. وليرغب إلى الله فى توفيقه لطلب الحق فإنه تعالى يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٣).

٦. وينبغى أن لا يتكلم بحضرة من يشهد لخصمه بالزور أو عند من إذا وضحت لديه الحجة دفنها ولم يتمكن من إقامتها. فإنه لا يقدر على نصرة الحق إلا مع الإنصاف وترك التعنت والإجحاف.

٧. ويكون كلامه يسيراً جامعاً بليغاً، فإن التحفظ من الزلل مع الإقلال دون الإكثار وفى الإكثار أيضاً ما يخفى الفائدة، ويضيع

---

(١) سورة التغابن الآية (١٦).
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى (١).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٦٩).

المقصود ويورث الحاضرين الملل (١). إلى آخر ما ذكره البغدادى رحمه الله.

وذكر الغزالى فى الإحياء آداباً أخرى منها:

(١) أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل، وبين أظهر الاكابر والسلاطين.

(٢) أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده، او على يد من يعاونه.

(٣) أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال (٢). وقد فصل رحمه الله فى هذا الأمر تفصيلاً جيداً فليراجع فى موضعه.

فالمناظرة وسيله دعوية هامة يستبين بها وجه الحق، فعلى الدعاة أن يدرسوا هذه الوسيلة ويفعلوها فى واقع العمل الدعوى، فإن كل وسيلة تستقطب نوعاً من الناس وتثمر معهم لا يقوم بها غيرها، فالخطبة لا تغنى عن المناظرة، والمناظرة لا تغنى عن الخطبة، فلكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث، ولكل خصم ما يناسبه من الوسيلة التى لا تناسب غيره، فتنوع الوسائل يرجع لتنوع المدعوين، واستخدام مع كل صنف ماينا سبه، لتحقيق الغرض المطلوب فى أفضل صورة.

---

(١) انظر ذلك فى الفقيه والمتفقه، وأصول الفقة للحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى صـ٢٢٣-٢٢٦. نشر زكريا على يوسف مطبعة الامتيار القاهرة

(٢) إحياء علوم الدين/ للإمام أبى حامد الغزالى ١/٤٢-٤٥.

خامساً – الحوار (١).

كلمة الحوار تعنى : مراجعة الكلام، والمحاورة، والمجادلة فى الحديث، جاء فى لسان العرب: (المحاورة : مراجعة الكلام والمنطق فى المخاطبة)(٢).

وجاء فى المعجم الوسيط: (حاوره محاورة وحواراً : أى جاء به وجادله، وفى التنزيل العزيز: {قال له صاحبه وهو يحاوره}(٣).

ويحاوروا: أى تراجعوا الكلام بينهم، ويجادلوا، وفى التنزيل العزيز: {قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما}(٤). والحوار: حوار يجرى بين شخصية أو أكثر فى العمل القصصى ونحوه)(٥).

ويستفاد مما سبق أن بنية كلمة الحوار ومشتقاتها عربية أصيلة، قرآنية فصيحة، تعنى المراجعة عن شئ ما إلى شئ آخر، بعد إعادة النظر فيه، بقصد الحق واتباعه، وهذا الحوار يكشف عن فضيلة من الفضائل الغائبة، وهى الاعتراف بالخطأ من أجل تصحيحه وتصويبه.

---

(١) انظر الحوار بين الأديان تعايش لا تقارب/ بحث مخطوط للمؤلف غير منشور.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤٣/٢ ط / دار المعارف.

(٣) سورة الكهف الآية (٣٧).

(٤) سورة المجادلة الآية (١).

(٥) المعجم الوسيط ٢١٢/١ مجمع اللغة العربية. ط/ مجمع اللغة العربية.

تعريف الحوار في الاصطلاح: جاء في المعجم الفلسفي عن تعريف الحوار : (هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر) (١).

ويلاحظ أن مصطلح الحوار لا يطلق عليه هذه الكلمة إلا إذا كان بين طرفين أو أكثر، وقد يكون حواراً داخلياً حول قضية داخلية تختلف الرؤى والتصور حولها، وقد يكون بين ديانتين مختلفتين، ولا بد من موضوع محدد مطروح للتحاور، وكذا لابد من آداب وضوابط علمية يلتزم بها الطرفان، ويحاول كل طرف عرض ما عنده ومناقشة ما لدى خصومه، بقصد البحث عن الحق والحقيقة.

ضوابط الحوار

هناك عدة ضوابط للحوار أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون} (٢).

ويستفاد من فحوى هذه الآية عدة نقاط منها:

١- أن يكون الحوار بالتي هي أحسن، وذلك باتخاذ أحسن أساليب التخاطب وأعلاه، مثل خفض الصوت وعدم ارتفاعه.

---

(١) المعجم الفلسفي جميل صليبا ٥٠١/١ دار الكتب المصري اللبناني.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

٢-عدم مصادرة الرأى الآخر مقدماً وإعطاؤه حقه فى التعبير عن رأيه، فقد أعطى الله -سبحانه وتعالى- لإبليس حق التعبير عما فى نفسه فى رفضه للسجود لآدم -عليه السلام-.

٣-البعد عن النيل من الأشخاص أو تجريحهم أو تسفيه آرائهم، قال تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)(١).

٤-التزام الصدق والبعد عن الكذب والمغالطات، وأن يلتزم الخصم بهذا المستوى من الاحترام المتبادل

٥-تحديد القضية المطروحة للحوار تحديداً دقيقاً،وإقامة كل طرف حجته بالعقل السليم، وهذا واضح فى حوار إبراهيم مع النمرود قال تعالى:(ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين)(٢).

٦-يلتزم الطرفان بالموضوعية فى الحديث حول القضية المطروحة. فلقد اتهم قوم نوح نوحا بأنه فى ضلال واضح، فرد عليهم بموضوعية وإنصاف حيث نفى التهمة عن نفسه، قال تعالى: (قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون)(٣).

---

(١) سورة الانعام الآية (١٠٨).

(٢) سورة البقررة الآية (٢٥٨).

(٣) سورة الأعراف الآيات (٦٠-٦٢).

٧-تهيئة الجو المناسب من الحرية والأمن فى الحوار حتى يستطيع كل طرف أن يقدم ما عنده فى طمأنينة وأمان.

قواعد الحوار

يرى الدكتور/ محمد شامة أنه لابد من وضع قواعد للحوار- خاصة فى مجال الأديان- يلتزم بها المتحاورون ويعلنون إيمانهم بها على جماهيرهم ومن أهم هذه القواعد ما يأتى : (١- الاعتراف بالأصل الواحد للخليقة كلها كما قال تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة}[١].

فلا يتعالى جنس على آخر، ولا يفضل شعب على شعب بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة، أو بسبب قدراته العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية والثقافية.

٢- الإيمان بأن الله تعالى كرم الإنسان، يقول تعالى : {ولقد كرمنا بنى ادم}[٢] فلا ينبغى أن يهان الإنسان أو يذل مهما كان موطنه، ولابد أن تكف وسائل الاسلام عن الاستهزاء بثقافة أى شعب، وان يمتنع الساسة والمفكرون عن التلميح-أو التصريح- بدونية ثقافة غيرهم أو باستعلاء ثقافتهم على غيرها من ثقافات الأمم.

٣- احترام خصوصية كل شعب يقول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا}[٣]

---

(١) سورة النساء الآية (١).
(٢) سورة الاسراء الآية (٧٠).
(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

فالاتصال الثقافى يجب أن يقوم على أساس تبادل المعلومات والخبرات، لا بقصد هيمنة ثقافة على أخرى أو فرض تكاليف شعب على اخر.

٤- الاعتراف بالآخر، يقول تعالى : {لكم دينكم ولى دين}[١] فكما يعترف الاسلام بالعقائد الأخرى كدين وان لم تكن سماوية، وتختلف مع الاسلام اختلافاً جذرياً فى العقائد والأحكام، فينبغى على الآخرين أن يعترفوا بالاسلام كدين، وإن لم يؤمنوا به، لأن الاعتراف بالآخر يشعره بأنه متكافئ فى الحوار مع من يحاوره.

٥- حرية العقيدة، يقول تعالى: {لا إكراه فى الدين}[٢].

فلا يجوز لاحد أن يفرض عقيدته على الآخرين بالقوة، بل يترك الأمر للناس، يعتنقون ما يرونه صحيحاً دون ضغط من أى نوع.

٦- العدل يقول تعالى: {ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}[٣] ومن مقتضيات العدل حق كل شعب فى أن يعيش فى وطنه دون اعتداء عليه من أى نوع، أومحاولة للسيطرة على مقاليد أموره.

٧- حرية التعبير، لأن التقليد فى هذا المجال يزيد الأمور غموضاً، فلا يعرف ما يكنه البعض للآخر، وبذلك تنمو الدسائس والفتنة.

---

(١) سورة الكافرون الآية (٦).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦).
(٣) سورة المائدة الآية (٨).

٨- المساواة فلا فضل لأحد على آخر، وذلك يقتضى الاعتراف بحق كل شعب فى الموارد الطبيعية فى أرضه، فلا استغلال، ولا احتكار، وإنما تعاون بين الناس على تنمية الموارد، بحيث ينال كل ما يضمن له حياة كريمة، تليق بالإنسان الذى كرمه الله)(١).

.....

(١) مجلة منبر الإسلام نوفمبر سنة ٢٠٠٢م صـ ١١٥.

نماذج من الحوار القرآنى مع أهل الكتاب

(١) إن القرآن الكريم وهو كتاب الدعوة الأول يرشد المسلمين إلى أن يكونوا هم البادئين للحوار، فيوجه القرآن النبى ﷺ فى أن يسأل بنى إسرائيل هذا السؤال عن نعم الله وآياته عليهم التى بدلوها ونسوها ولم يقوموا بحقها : {سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب}[1].

(٢) وأحياناً يسجل القرآن عليهم أقوالهم ثم يناقشهم فيها ويأتى بالحكم الفصل الذى لا تختلف فيه العقول الراشدة وأمثلة ذلك فى القرآن الكريم كثير منه ما حكاه القرآن الكريم عن بنى إسرائيل فى مثل قوله تعالى : {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}[2].

(٣) وقال تعالى : {وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين}[3].

وقال تعالى : {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}[4]. ورد عليهم القرآن الكريم فى قوله تعالى : {ما كان

---

(١) سورة البقرة الآية ,٢١١).

(٢) سورة البقرة الآيتان (٨٠-٨١).

(٣) سورة البقرة الآية (١٣٥) .

(٤) سورة البقرة الآيتان (١١١-١١٢) .

إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين}(١).

(٤) وقال تعالى : {قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين}(٢).

(٥) وقال تعالى : {وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير}(٣).

فلقد حاورهم القرآن الكريم فى ادعائهم انهم ابناء الله وأحباؤه ورد عليهم رداً قوياً يكشف عن زعمهم الباطل فى كونهم بشر من الناس يتساون معهم فى كل شئ وأما الاصطفاء والتميز والحب فهذا أمر يرجع إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى البشر.

(٦) ولقد سجل عليهم القرآن الكريم شهادتهم على بعضهم، حينما شهدت اليهود بأن النصارى ليسوا على شئ وشهد النصارى بأن اليهود ليسوا على شئ وهم صادقون فى ذلك، فسجل القرآن الكريم عليهم هذه الشهادة لتكون إدانة لهم إلى يوم القيامة، فربما يفكروا فيها فيعودوا إلى البحث عن الحقيقة التى رفضوها من قبل، قال تعالى :{وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى

---

(١) سورة العمران الآية (٦٧).
(٢) سورة البقرة الآيتان (٩٤-٩٥).
(٣) سورة المائدة الآية (١٨).

ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون}[1].

(٧) بل إن القرآن الكريم سجل عليهم ما هو أشد وأنكى حينما ألهو البشر فادعى اليهود بأن عزيراً ابن الله، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله، فأعلمهم القرآن بأن ذلك قول مكرور لمن سبقهم من الوثنيين قديماً وهو قمة الكذب والبهتان والإفك لأنه بعيد عن الحقيقة والصواب، وهو زعم بلا دليل يستند إليه، وأن هذا الادعاء خالفوا ما أمرهم الله به من قبل فى عبادة الله الواحد الأحد، فهل لهم أن يفهموا إن كانوا يعقلون أو يتفكرون.

قال تعالى :{وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون}[2].

*****

(١) سورة البقرة الآية (١١٣).

(٢) سورة التوبة الآيتان (٣٠-٣١).

سادساً - الدعوة الفردية

من أقوى وسائل الدعوة إلى الله -تعالى- وأشدها فاعلية (الاتصال الشخصى) أو الدعوة الفردية التى هى مقابل الدعوة العامة الجماهيرية، ولها تعريف، ومميزات، ومراحل.

ويقصد بالدعوة الفردية: (ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد، أو إلى فئة قليلة من الناس -وليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم- وغالباً ما تقع عن غير ترتيب مسبق، ومثلها لقاءات المصادفة، وجلسات المجالس، ومناقشات الزملاء فى العمل، وحلقات البحث ونحوها) (١)

وفى مثل هذا الخطاب الخاص يستغل الداعى إلى الله هذه المواقف ليبلغ فيها ولو آية، فيرد شبه، أو يقدم نصيحة، أو يصلح فكرة، أو يعلم عبادة، أو يوجه إلى خير، أو ينهى عن شر، إلى غير ذلك فى حدود المستطاع، ولا شك أن مثل هذه الوسيلة يقوم بها الخطيب المفوّه، والمسلم العادى الذى يحب دينه، ويحرص على من حوله، ويخاف عليهم، وهذه الدعوة الفردية لها مميزات عدة منها:

١- أنها كثيرة الحدوث، حيث تتفق للإنسان مرات فى اليوم الواحد.

٢- أنها عابرة لا تحتاج إلى جهد ولا إعداد، وقد تكون خلال عمل آخر فلا تأخذ وقتاً خاصاً.

٣- أنها يسيرة، ليس فيها التوتر الذى يكون فى الحفلات العامة.

---

(١) كيف ندعو الناس/ عبد البديع صقر صـ١٧.

٤- أنها سهلة يستطيع كل مؤمن بدعوته أن يشارك فيها ولو كان أمياً، أو من غير أهل هذه الصناعة.

٥- أنها مستورة تحمى الداعية من الرياء والسمعة، فكثيراً ما يصاب الخطباء بمرض وداء حب الصدارة.

٦- أن فيها فرصة للتنفيس،فيبدى كل واحد ما عنده من وجهات النظر، وطرح ما لديه من أسئلة واستفسارات، وذلك لا يتاح فى الغالب فى المحافل العامة.

٧- دوام الإمكانية: حيث تتم رغم كل التضييقات التى تتعرض لها الدعوة والدعاة، ففى أحلك الظروف التى مرت بالشعوب لم تتوقف الدعوة المحدودة، بل زادت ونشطت، لأنها حديث النفس لنفس أخرى، تعانى ما تعانى تلك، وهو ما تعجز كل قوى الظلم عن السيطرة عليه.

٨- أن فيها من بركات النبوة، حيث بدأ بها الأنبياء -عليهم صلوات الله- ولم يتوقفوا عنها بل كانت من أساليب حياتهم على الدوام.(١)

هذه مميزات حقيقية للدعوة الفردية، والدارس لتاريخ الدعوات يلحظ ثلاثة أمور:

الأول: أن الدعوات كلها بدأت فى أولى خطواتها بالدعوة الفردية لا العامة.

---

(١) السابق صـ١٧-١٨ بتصرف ميسر.

الثاني: أن ركائز كل دعوة وأعمدتها هم الذين اصطفاهم الدعاة فردياً، وصنعوهم بعناية على أيديهم.

الثالث: أن من الناحية الحسابية لو قام الدعاة -أو المسلمون المحبون لدينهم ودعوتهم - بالدعوة الفردية حسب المستطاع لتغيرت أعداد هائلة ليس من المسلمين وحدهم بل من البشرية كلها.

نماذج عملية من الدعوة الفردية:

هذه الوسيلة قديمة قدم الدعوات، قام بها الأنبياء -عليهم السلام- وأتباعهم، قام بها رجال ونساء، شباب وفتيات، فهى من أغزر روافد الدعوة ولنضرب لذلك نماذج عملية:

١- دعوة نوح -عليه السلام- (١).

قصة دعوية تجلت فيها كل معانى الصبر، وكل فنون الدعوة، تواصل فيها الليل والنهار، وكان فيها الجهر والإسرار، ومع كل ذلك ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾(٢). إلا أن هؤلاء القليل تجاوب لأجل إيمانهم الكون كله، قال تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾.(٣).

هؤلاء القليل رباهم نوح -عليه السلام- واصطفاهم، وعبر نوح عن أساليب دعوته ووسائلها قائلاً: ﴿إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فراراً وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا

---

(١) وانظر دعوة إبراهيم الخليل-عليه السلام- لأبيه: فى قوله تعالى: (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) الآيات من سورة مريم (٤١-٤٧) هذه الدعوة الفردية من نبى الله إبراهيم -عليه السلام- لأبيه وسيلة دعوية عرض من خلالها دعوته، وبين فيها شفقته على أبيه، ولم يفلح فى إنجاء أبيه من الكفر، لكنه قام بواجبه. ومثل هذه الوسيلة آمن لوط -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ فآمن له لوط﴾.
وكذلك دعوة يوسف -عليه السلام-مع صاحبيه فى السجن، وهى نموذج فريد فى الدعوة الفردية إلى الله تعالى.

(٢) سورة هود الآية (٤٠).

(٣) سورة القمر الآيتان (١١-١٢).

أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا﴾ (١).

قال الإمام القرطبي: (قال مجاهد: معنى أعلنت: صحت ﴿وأسررت لهم إسراراً﴾ بالدعاء عن بعضهم من بعض. وقيل ﴿أسررت لهم﴾ اتيتهم في منازلهم، وكل هذا من نوح -عليه السلام- مبالغة في الدعاء لهم)(٢).

وقال الإمام النسفي: ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ أي خلطت دعاءهم العلانية بدعاء السر، فالحاصل أنه دعاهم ليلاً ونهاراً في السر، ثم دعاهم جهاراً، دعاهم في السر والعلن، وهكذا يفعل الآمر بالمعروف، يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة)(٣).

وبهذا نرى الإسرار في الدعوة الذي هو ضد الجهر بها، والذي هو في نفس الوقت ما نسميه بالدعوة الفردية، حتى إنه يصل إلى منازلهم وتلك وسيلة دعوية مارسها نوح -عليه السلام- مع قومه من قديم الزمان.

ويتبين من حديث القرآن الكريم عن نوح- عليه السلام - وخطبته في قومه، أنه ضمنها قواعد الدعوة الفردية، ومن ذلك ما يأتي -

١- بدأ الخطبة بقوله ﴿يا قوم﴾ وفيها من الاستمالة ما فيها، فهم قومه وهو واحد منهم، وليس غريباً عنهم، وهو حريص عليهم،

---

(١) سورة نوح الآية (٥-٩).

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٣٠٠.

(٣) تفسير النسفي ٤/٤٤٢.

ومن ثم فهو ينشد مصلحتهم وسعادتهم، فناداهم بما يقربهم من دعوته، ويبعثهم على المقصود من رسالته.

٢- ضمن خطبته الإنذار الواضح، حتى لا يتمادوا في عنادهم واستكبارهم، فيعلموا أهمية القضية وجديتها، فيأخذوا حديثة مأخذ الجد والاهتمام.

٣- حدد لهم الغاية من رسالته، أو الهدف من خطبته، وذلك تمثل في عبادة الله وتقواه وطاعته ، فلا يدعوهم لمصلحة شخصية تخصه وحده، وإنما يذكرهم بأهم قضية تعنيهم على الإطلاق، ألا وهي قضية العبادة للخالق، والخوف من عقابه إن أعرضوا عن الاستجابة له.

٤- ذكرهم بثمار الاستجابة العاجلة والآجلة، وذلك متمثل في مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، وأن يبسط الله لهم في الأعمار، ولا يملك كل ذلك إلا الله-سبحانه وتعالى- وحده، فهو الذي يعطى ويمنع، ويرضى ويسخط.

٥- أنه استفرغ جهده في دعوة قومه، فانطلق إليهم بالليل والنهار سراً وعلانية، فأغلقوا منافذ السماع، وأصروا على الكفر والعناد والإعراض، فأتعب نفسه في سبيلهم، لكن التقصير جاء من قبلهم ﴿ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ سورة التغابن الآية (١٢).

٦- حاول استمالتهم مرة ثانية بتذكيرهم بنعم الله عليهم، مثل إنزال المطر الذي هو سر الحياة، والإمداد بالأموال التي هي عصب الحياة، وبالبنين الذين هم قوة الرجل وشدته في الحياة، ويجعل

لهم أراضيهم حدائق وبساتين، ينعمون بما فيها من نعم الله -عز وجل- فكرر موعظته حتى لايبقى لهم حجة.

٧- لما تمادوا في الإعراض نعى عليهم عدم الاستجابة، وإلحاههم إلى عبادة ما لا ينفع ولا يضر من الأصنام، التي صنعوها بأيديهم، فألغوا عقولهم وقلدوا من سبقهم .

٨- ولما تيقن نوح من أن قومه لم ولن يتبعوه بعدما استعمل معهم جميع الطرق المتاحة، وضع لهم نهاية؛ لأن حياتهم لم يعد فيها نفع لهم ولا لغيرهم، بل أصبحت ضرراً يهدد الاجيال القادمة، فدعا عليهم: فكانت النهاية الأليمة والعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

٩- أنه استخدم جميع وسائل الدعوة المتاحة لديه، الجماعية والفردية، العامة والخاصة، الجهرية والسرية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وأسررت لهم إسرارا﴾(١).

٢- دعوة خاتم النبيين محمد ﷺ:

من المعلوم أن الدعوة الإسلامية بدأت سراً في مكة، وكانت في هذه المرحلة تقوم على الاصطفاء والاختيار الدقيق، وكل ذلك لا يتم بصورة جماعية، بل كان الاتصال الشخصي هو عماد الوسائل الدعوية في هذه المرحلة (فهي ليست دعوة علنية تقام في الأندية العامة، والمجالس والمحافل، إنما تقوم على الاصطفاء الشخصي، وتقدير الداعية لطبيعة المدعو)(٢).

---

(١) انظر الخطابة قواعد وأصول للمؤلف صـ ١٥-١٦.

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر/ محمد منير الغضبان ١٨/١ ط/ دار الوفاء العاشرة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

لقد دعا النبى ﷺ زوجته خديجة- رضى الله تعالى عنها- فآمنت وكان من شأنها ما كان من نصرة الحق، وتثبيت زوجها، والتهوين عليه عند الأذى.قال ابن هشام:(وكانت أول من امن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاءه من الله، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ فلا يسمع شيئاً مما يكرهه، من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى)(١).

وأسلم بهذه الدعوة الفردية السرية، على بن أبى طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق -رضى الله تعالى عنهم أجمعين- ولذلك تفصيل فى مظانة.(٢)

وهذه وقفة مع الصديق -رضى الله تعالى عنه- كيف قبل دعوة الإسلام، وكيف تحرك بها فى الحال.

يقول ابن كثير فى البداية والنهاية: (قال محمد بن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، دعا إلى الله -عز وجل- وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه -فيما بلغنى- الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، ﷺ فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٠.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٤ .

أبو بكر معرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا)(١)

وهكذا تحرك أبو بكر الصديق ﷺ وفعل مع المدعوين مثلما فعل معه رسول الله ﷺ ساعده فى ذلك إخلاصه وصدقه، فضلاً عن صفاته المذكوة من كونه ذا علم وألفة، وحسن معاشرة، ولعل هذا كله من أهم ما يلزم من يقوم بالدعوة الفردية؛ لقربه للباشر من الآخرين؛ فليكن لديه ما يحمل الناس ويرغبهم فى قبول دعوته.

والتاريخ ملئ فى قديمه وحديثه بصور لا تعد ولا تحصى من الممارسات العملية للدعوة الفردية، ما بين دعوة عابرة، أو اتصال دائم، حتى تحقق الهداية أو الرفض، فليستخدم الدعاة هذه الوسيلة، فإنها من أعظم الوسائل وأكثرها بركة، وأشدها تاثيراً فى الداعى والمدعو معاً.

معالم فى طريق الدعوة الفردية

إذا تصورنا أن الدعوة الفردية مع مسلم فالقاعدة العامة فى ذلك أن يبدأ الداعى مع المدعو من حيث انتهى ذلك المدعو، من التزام بالدين أو فهمه، أو غير ذلك حتى يصل به إلى داعية جديد، وعامل لدين الله -عز وجل-.

فالعاصى كيف ندعوه دعوة فردية؟ أقول هذا يتصور فى عدة خطوات:

---

(١) البداية والنهاية ٣٩/٣. وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٧،٢٦٩/١ ط/ دار إحياء التراث العربى اللبنانى.

الخطوة الأولى: إيجاد صلة وإنشاء علاقة طيبة، هدفها تحقيق تعارف واسع يصل الداعية من خلاله إلى أن يحبه المدعو ويثق به، كتمهيد لتلقى ما عند الداعى من خير وهداية، ويساعد الداعى فى ذلك أمور منها:

١. الإخلاص فى محاولة استنقاذ العاصى مما هو مقيم عليه.

٢. الدعاء له كما كان ﷺ يدعو لقومه قائلاً: (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون).

٣. البشاشة وطلاقة الوجه وحسن العشرة ولطف المعاملة، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، والإنسان عبد الإحسان كما يقولون:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإحسان إنسان

٤. الاهتمام بالمدعو فى إقباله وإدباره، وقضاء حوائجه والسؤال عنه، ومشاركته أحواله وأموره.

٥. الشفقة على المدعو، وإشعاره بذلك.

٦. الانفتاح عليه، ومحاولة تحقيق الأخوة الصادقة، إلى غير ذلك، مثل التزاور معه، والهدية، ودعوته إلى طعام، وما إلى ذلك.

الخطوة الثانية: تحريك الإيمان الكامن، واستثارة الفطرة، وإزالة زان القلب، فلا شك أن المسلم العاصى فيه إيمان، وهو مولود على الفطرة، غير أن الغفلة عن الله واليوم الآخر خدّرت إيمانه، وأضعفت فطرته، وتسبب العصيان فى تراكم الران على قلبه،

ووظيفة الداعية بعدما هيأ الطريق إلى القلب بالخطوة الأولى، أن يستنفر هذا الإيمان ويزيل عنه الركام، ولا شك أن هذا أمر يحتاج إلى توفيق من الله -تعالى- وحسن تصرف من الدعاة، فليركز الدعاة في هذه الخطوة على عدة قضايا منها:

أ- القضية المصيرية: التي حار الناس فيها قديماً وحديثاً، وأجاب عنها الإسلام، لكن هذا العاصي ذهل عنها، وعاش بدون هذه القضية، وهي تتمثل في الإجابة عن هذه الأسئلة.

من نحن؟ من خلقنا؟ لماذا خلقنا؟ كيف نعيش؟ وعلى أي منهج؟ ما حقيقة هذه الدنيا؟ إلى أين مصيرنا؟

إن إثارة هذه الأسئلة وطرح الجواب عنها بطريقة روحية وفكرية مقنعة أمر جدير بأن يحرك القلوب فتستيقظ، ويزيل الران فيصحو القلب.

ب- قضية العقيدة والحديث عن الخالق، وآثاره في النفس والكون، وإبراز الآيات الباهرة المبهرة، وضرورة تفعيل وسائل الإدراك التي منحنا الله إياها من سمع وبصر وفؤاد للوقوف على هذه الآثار، كسبيل للتعرف على الله العظيم -جل جلاله- وفي هذا لابد من لفت نظر المدعو إلى مسألة الصحة والمرض، الغنى والفقر، الموت والحياة، آيات الله في النفس وآياته في الكون، بسمائه وأرضه وبحاره وجباله، إلى سائر المخلوقات، كل ذلك مفيد لا شك في يقظة القلب وتحريك النفس إلى ربها.

جـ- قضية المادة والروح في حياة الإنسان: وهنا نلفت نظر هذا الغافل العاصي أن الناس غالباً ما يهتمون وينصرفون عن